ترجمة ثانية للفيروزأبادى، عن الضوء اللامع للسخاوى

قال بعض حفاظ المشارقة، وهو الإمام السخاوى فى كتابه «الضوء اللامع»[1]:

هو محمّد بن يعقوب بن ابراهيم، بن عمر، بن أبى بكر، بن أحمد، ابن محمود، بن إدريس، بن فضل الله، بن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم الكارزينى، المشهور بمولانا الشيخ مجد الدين، الفيروزابادى، اللغوى الشافعى. ولد فى ربيع الآخر سنة [تسع و][2] عشرين وسبع مئة بكارزين، فنشأ بها، وحفظ القرآن وهو ابن سبع، وانتقل إلى شيراز وهو ابن ثمان، فأخذ الأدب واللغة عن والده، ثم عن القوام عبد الله بن محمود بن النجم، وغيرهم من علماء شيراز، وانتقل إلى العراق، فدخل واسط وبغداد، وأخذ عن الشرف عبد الله بن بكتاش، وهو قاضى بغداد، ومدرس النظامية بها، وولى به تداريس وتصادير، وظهرت فضائله، وكثر الأخذ عنه، فكان ممن أخذ عنه الصفدى. ثم دخل القاهرة و[لقى بها][2] البهاء بن عقيل، والجمال الأسنوى، وابن هشام. وأخذ عن علمائها، وجال فى البلاد المشرقية والشمالية، ودخل الروم والهند، ولقى جمعًا من الفضلاء، وحمل عنهم شيئًا كثيرًا تجمعهم مشيخته، تخريج الجمال بن موسى المراكشى، وفيه أنَّ [من][2] مروياته الكتب الستة، وسنن البيهقى، ومسند أحمد وصحيح ابن حبان، ومصنف ابن أبى شيبة، وغير ذلك، غير مشايخ عديدة، وجم غفير.

ثم دخل زبيد فى رمضان سنة ست وتسعين، بعد وفاة قاضى الأقضية باليمن كله، الجمال الريمى شارح التنبيه فتلقاه الأشرف إسماعيل [بالقبول][2]

---

(١) الضوء اللامع ج١٠ ص ٧٩.

(٢) التكملة عن الضوء اللامع.

وبالغ فى إكرامه وصرف له ألف دينار سوى ألف أخرى أمر ناظر عدن أن يجهزه بها، واستمر مقيما فى كنفه على نشر العلم، وكثر الانتفاع به، وأضيف إليه قضاء اليمن كله فى ذى الحجة سنة سبع وتسعين، بعد ابن عجيل، فارتفق بالمقام فى تهامة، وقصده الطلبة، وقرأ السلطان فمن دونه، عليه فاستمر بزبيد مدة عشرين سنة وهى بقية أيام الأشرف، ثم ولد الناصر أحمد. وكان الأشرف قد تزوج ابنته لمزيد جمالها ونال منه برا ورفعة، بحيث إنّه صنف كتابا وأهداه له على أطباق، فملأها له دراهم، وفى أثناء هذه المدة قد مكة مرارا، وجاور بالمدينة والطائف، وعمل بها مآثر حسنة، وكان يحب الانتساب إلى مكة ويكتب بخطه: «الملتجئ إلى حرم الله تعالى» ولم يدخل بلدا إلاّ وأكرمه متوليها، وبالغ فى تعظيمه، مثل شاه منصور بن شجاع صاحب تبريز، والأشرف صاحب مصر، والسلطان بايزيد خان بن عثمان متولى الروم، وابن أويس صاحب بغداد، وتمرلنك وغيرهم.

واقتنى كتبا كثيرة حتى نقل عنه أنَّه قال: اشتريت بخمسين ألف مثقال [ذهبا][1] كتبا. ولا يسافر إلاّ وفى صحبته منها أحمال، ويخرجها فى كل منزل وينظر فيها. وصنف كتبا كثيرة منها: «بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز» مجلدان و«تنوير المقباس فى تفسير ابن عباس» أربع مجلدات و«تيسير فائحة الإهاب فى تفسير فاتحة الكتاب» مجلد كبير و«الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم» و«حاصل كورة الخلاص فى فضائل سورة الإخلاص» و«شرح خطبة الكشاف» و«شوارق الأسرار العلمية فى شرح مشارق الأنوار النبوية» أبرع مجلدات و«منح البارى بالسيل الفسيح الجارى فى

(١) التكملة عن الضوء اللامع.

شرح صحيح البخارى» كمل ربع العبادات منه فى عشرين مجلدا و«الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد» ثلاث مجلدات و«النفحة العنبرية فى مولد خير البرية» و«الصلات والبشر فى الصلاة على خير البشر» و«الوصل والمنى فى فضل منى» و«المغانم المطابة فى معالم طابة» و«مهيج الغرام إلى البلد الحرام» و«إثارة الحجون لزيارة الحجون» عمله فى ليلة و«أحسن اللطائف فى محاسن الطائف» و«فصل الدرة من الخرزة فى فضل السلامة على الخبزة» قريتان بالطائف و«روضة الناظر فى ترجمة الشيخ عبد القادر» و«المرقاة الوفية فى طبقات الحنفية» و«البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة» و«الفضل الوفى فى العدل الأشرفى» و«نزهة الأذهان فى تاريخ أصبهان» و«تعيين الغرفات للمعين فى عين عرفات» و«منية السول فى دعوات الرسول» و«التجاريح فى فوائد متعلقة بأحاديث المصابيح " و«تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة فى جامع الأصول» و«الأحاديث الضعيفة» و«الدر الغالى فى الأحاديث العوالى» و«سفر السعادة» و«المتفق وضعا المختلف صنعا» و«اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب وزيادات امتلأ بها الوطاب» قدر تمامه فى مئة مجلد يقرب كل مجلد منه من صحاح الجوهرى أكمل منه خمس مجلدات و«القاموس المحيط والقابوس الوسيط» و«مقصود ذوى الألباب فى علم الأعراب» مجلد، و«تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين» تتبع فى أوهام المجمل لابن فارس فى ألف موضع و«المثلث الكبير» فى خمس مجلدات و«الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألوف» و«تحفة القماعيل فيمن يسمى من الملائكة والناس إسماعيل »و«أسماء السراح فى أسماء النكاح» و«الجليس الأنيس فى أسماء الخندريس» مجلد و«أنوار الغيث فى أسماء الليث» و«ترقيق الأسل فى تصفيق العسل» فى كراسين و«زاد المعاد فى وزن بانت سعاد»

وشرحه فى مجلد و«التحف الظرائف فى النكت الشرائف» وغير ذلك من مختصر ومطول.

وقال التقى الكرمانى: كان عديم النظير فى زمانه نظما ونثرا، بالفارسى والعربى، جال البلاد، واجتمع بمشايخ كثيرة، وأقام بدهلك مدة عظمة سلطانها وجاور بمكة عشرين سنة، وصنف بها القاموس فى مجلدات، فأمره والدى باختصاره فاختصره فى مجلد ضخم، وفيه فوائد عظيمة، واعتراضات على الجوهرى، وسافر إلى الهند والروم وعظَّمه سلاطينها، واجتمع بتمرلنك فعظمه، وأنعم عليه بمائة ألف درهم.

وقال الخزرجى فى تاريخ اليمن: إنه لم يزل فى ازدياد من علو الجاه والمكانة، ونفوذ الشفاعات والأوامر على القضاة فى الأمصار.

ورام عام تسعة وتسعين الوصول إلى مكة شرفها الله فكتب إلى السلطان ما مثاله:

«ومما ننهيه إلى العلوم الشريفة، ضعف العبد، ورِقَّة جسمه، ودقة بنيته، وعلو سنه، وقد آل إلى أن صار كالمسافر الذى تحزم وانتعل، إذ وهن العظم والرأس اشتعل، وتضعضع السن، وتقعقع الشن، فما هو إلاّ عظام فى جراب، وبنيان قد أشرف على الخراب، وقد ناهز العشر التى تسميها العرب دقائق الرقاب، وقد مر على المسامع الشريفة غير مرة فى صحيح البخارى قول رسول الله ﷺ: إذا بلغ المرء ستين سنة فقد أعذر الله إليه فكيف من ينيف على السبعين وأشرف على الثمانين؟ ولا يجمل بالمؤمن أن يمضى عليه أربع سنين ولا يتجدد له شوق [وعزم][1] إلى بيت رب العالمين، وزيارة سيد المرسلين. وقد ثبت فى الحديث النبوى ذلك، والعبد له ست سنين بعيداً عن

(١) التكملة عن الضوء اللامع.

تلك المسالك، وقد غلب عليه الشوق، حتى جل عمره عن الطوق، ومن أقصى أمنيته، أن يجدد العهد بتلك المعاهد، ويفوز مرة أخرى بتلك المشاهد، وسؤاله من المراحم العلية، الصدقة عليه بتجهيزه فى هذا العام قبل اشتداد الحر وغلبة الأوام، فإن الفصل أطيب، والريح أزيب، وأيضًا كان من عادة الخلفاء سلفا وخلفا، أنهم كانوا يبردون البريد لتبليغ سلامهم لحضرة سيد المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، فاجعلنى، جعلنى الله فداك ذاك البريد فلا أتمنى شيئًا سواه ولا أريد.

شوقا إلى الكعبة الغراء قد زادا فاستحمل القلص الوخادة الزادا

واستأذن الملك المنعام زيد علا واستودع الله أصحابا وأولادا

فلما وصل كتابه إلى السلطان كتب على طرته ما مثاله: «إنَّ هذا الشىء ما ينطق به لسانى، ولا يجرى به قلمى، فقد كانت اليمن عمياء فاستنارت، فكيف يمكن أنْ نتقدم وأنت تعلم أنَّ الله قد أحيا بك ما كان ميتا من العلم؟ فبالله عليك إلاّ ما وهبت لنا بقية هذا العمر. والله يا مجد الدين يمينا بارة، إنى أرى فراق الدنيا ونعيمها، ولا فراقك أنت اليمن وأهله.

قال الفاسى: له شعر كثير، ونثره أعلى، وكان الاستحضار لمحسنات الشعر والحكايات، وله خط جيد مع السرعة، وكان كثير الحفظ حتى يقال إنه قال: ما كنت أنام حتى أحفظ مائتى سطر، وكانت له دار بمكة على الصفا عملها مدرسة للأشرف صاحب اليمن، وقرر بها مدرسين وطلبة، وفعل بالمدينة كذلك، وله بمنى دور، وبالطائف بستان، وقد سارت الركبان بتصانيفه لا سيما القاموس فإنه أعطى قبولا كثيرا.

قال الأديب المفلق نور الدين بـن محمّد العـفيف المكى الشافـعى لما قرأ عليه القاموس:

مـذ مَـدَّ مـجـد الـدين فى أيامـه من فـيض أبحر علـمه القـاموسـا
ذهبت صـحـاح الجوهرى كـأنهـا سـحـر المدائن حـين ألقى مـوسى

ومن شعره مما كتبه عنه الصلاح الصفدى رحمه الله:

أحـبـتنا الأمـاجـد إنْ رحـلتم ولم ترعـوا لنا عـهـدا وإلاّ
نـوِّدعْـكـم ونُـودِعْـكـم قـلـوبـا لعـل الله يجـمـعـنا وإلاّ

وكان يرجو وفاته بمكة المشرفة فـما قدر الله له ذلك بل توفى بزبيد وقد ناهز التسعـين، وهو ممتع بحواسه، وذلك ليلة العشـرين من شوال سنة سبع عشر وثمان مئة تغمده الله تعالى برحمته، وأسكنه فسيح جنته. انتهى ملخصا من الضوء للسخاوى رحمه الله.

ولأبى عبد الله الفيومى يمدح القاموس المذكور:

لله قـامـوس يطـيب وروده أغنى الورى عن كـل مـعنى أزهر
لفظ الصـحاح بلـفظه والبحـر من عـاداته يلقى صـحـاح الجـوهرى

وقال عبد الرحمن بن معمر الواسطى فى رموزه:

وما فـيه من رمز بحـرف فخمـسة فـمـيم لمعـروف وعـين لموضع
وجـيم لجـمع ثم هاء لـقـرية وللـبلـد الدال الـتى أهـملـت فعِ

وأنشدنا فيـه لغيره، سيدنا ومـولانا شيخ الشيوخ، وخـاتمة أهل التثبت والرسـوخ، ملحق الأحفـاد بالأجـداد، المبرز على الـنظراء والأنداد، مفـتى

تلمسان وأصقاعها، ومعتمد أهل أقطارها وبقاعها، عمنا سيدى سعيد بن أحمد المقرى، صب الله عليه شآبيب رضوانه، آمين:

ألا ما لهذا فى اللغات مشابه فما هو إلاّ كاسمه زاخر بحر
أحاط بما يحوى سواه وفاقه بمبدع لفظ مع لغات بها كثر
جزى الله خيرا من تصدى لجمعه وآتاه فضلا زاد ما اتصل الدهر

قلت: هذه الأبيات لتقى الدين الواسطى، نظمها تجاه الكعبة المشرفة. وأنشدنى أيضًا رحمه الله تعالى وكتبها بخطه:

وما جاء القاموس رمزا فستة لموضعهم عين، ومعروف الميم
وجج لجمع الجمع، دال لبلدة وقريتهم هاء، وجمع له الجيم

انتهى.

قلك: ومن أغرب ما منح الله تعالى المجد مؤلف القاموس المذكور أنّه قرأ بدمشق بين باب النصر والفرج تجاه بغل النبى ﷺ على ناصر الدين أبا عبد الله محمّد بن جهبل صحيح مسلم فى ثلاثة أيام وتبجح فقال:

قرأت بحمد الله جامع مسلم بجوف دمشق الشام جوفا لإسلام
على ناصر الدين الإمام بن جهبل بحضرة حفاظ مشاهير أعلام
وتم بتوفيق الإله بفضله قراءة ضبط فى ثلاثة أيام

فسبحان المانح الذى يؤتى فضله من يشاء.

ترجمة ثالثة للفيروزأبادى، عن إنباء الغمر لابن حجر

وبعد أنْ كتبت هذه الترجمة وقفت على كلام تلميذه الإمام ابن حجر «إنباء الغمر بأنباء العمر» فأوردته هنا وإنْ كان مخالفا فى بعض المواقع لما قدمته، إذ لا يخلو من فائدة ونصه:

محمّد بن يعقوب بن إبراهيم بن عمر الشيرازى، الشيخ العلامة مجد الدين أبو الطاهر الفيروزابادى كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبى إسحاق الشيرازى صاحب التنبيه، ويذكر أنَّ بعد عمر أبا بكر بن أحمد بن أحمد بن فضل الله ابن الشيخ أبى إسحاق. ولم أزل أسمع مشاهير مشيخنا يطعنون فى ذلك مستندين إلى أنَّ الشيخ أبا إسحاق لم يعقب.

ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة، فادعى بعد أنْ ولى قضاء اليمن بمدة طويلة، أنّه من ذرية أبا بكر الصديق رضى الله عنه. وزاد إلى أنْ رأيت بخطه لبعض نوابه فى بعض كتبه: «محمّد الصديقى» ولم يكن مدفوعا عن معرفة إلاّ أنَّ النفس تأبى قبول ذلك.

ولد الشيخ مجد الدين سنة تسع وعشرين وسبع مئة بكارزين، وتفقه ببلاده، وسمع بها من محمّد بن يوسف الزرندى المدنى صحيح البخارى، وعلى بعض أصحاب الرشيد بن أبى القاسم، ونظر فى اللغة فكانت جل قصده فى التحصيل، فمهر فيها إلى أنْ تميز وفاق أقرانه، ودخل الديار الشامية بعد الخمسين فسمع بها، وظهرت فضائله، وكثر الآخذون عنه، ثم دخل القاهرة، ثم جال فى البلاد الشمالية والمشرقية، ودخل الهند، وعاد منها على طريق اليمن، قاصدا مكة المشرفة، ودخل زبيد، فتلقاه الملك الأشرف إسماعيل بالقبول، وكان ذلك بعد وفاة جمال الدين الريمى قاضى الأقضية باليمن كله، فقرره الأشرف مكانه، وبالغ فى إكرامه، فاستقرت قدمه بزبيد،

واستمر فى ذلك إلى أنْ مات. وقدم هذه المدة مكة مرارا وأقام بها وبالطائف، ثم رجع وصنف القاموس المحيط فى اللغة لا مزيد عليه فى حسن الاختصار، وميز فيه زياداته على الصحاح، بحيث لو أفردت لكانت قدر الصحاح وأكثر، فى عدد الكلمات وقرئ عليه. وكان أولا ابتدأ بكتاب كبير فى اللغة سماه: «اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب " وكان يقول: لو كمل لكان مئة مجلد. وذكر عنه الشيخ برهان الدين الحلبى أنّه تتبع أوهام المجمل لابن فارس فى ألف موضع وكان مع ذلك يعظم ابن فارس ويثنى عليه.

وقد أكثر المجاورة بالحرمين الشرفين، وحصل دنيا طائلة، وكتبا نفيسة، لكنه كان كثير التبذير، وكان لا يسافر إلاّ وصحبته عدة أحمال من الكتب، ويخرج أكثرها فى كل منزل فينظر فيها، ويعيدها إذا رحل، وكان إذا أملق باعها. وكان الأشرف كثير الإكرام له حتى إنَّه صنف له كتابا وأهداه له على أطباق فملأها له دراهم، وصنف للناصر كتابا سماه: «تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول» و«الإصعاد إلى رتبة الاجتهاد» فى أربعة أسفار، وشرع فى شرح مطول على البخارى ملأه بغرائب المنقولات، وذكر أنَّه بلغ عشرين سفرا. إلاّ أنَّه لما اشتهرت باليمن مقالة ابن عربى ودعا إليها الشيخ إسماعيل الجبرتى وغلب على علماء تلك البلاد، صار الشيخ مجد الدين يدخل فى شرح البخارى من كلام ابن عربى فى الفتوحات ما كان سببا لشين الكتاب المذكور.

ولم أكن أتهم الشيخ بالمقالة المذكورة إلاّ أنَّه كان يحب المداراة. وكان الناشرى، فاضل الفقهاء بزبيد، يبالغ فى الإنكار على إسماعيل، وشرح ذلك يطول. ولّما اجتمعت بالشيخ مجد الدين أظهر لى إنكار مقالة ابن عربى

وغض منها، ورأيته يصدق بـوجود رتن الهندى، وينكر على الذهبى قوله فى الميزان إنَّه لا وجـود له. قال الشيخ مـجد الدين: إنَّه دخل قريتـه ورأى ذريته وهم مطبقون على تصديقه، وقـد أوضحت ذلك فى ترجمة «رتن» من كتاب الإصابة.

ومن تصانيـفه: «شوارق الأسـرار فى شرح مـشارق الأنوار» و«الروض المسلوف فـيما له اسـمان إلى الألوف» و«تحـبير الموشـين فيـما يقال بـالسين والشين». وكان يقول: ما كنت أنام حتى أحفظ مائتى سطر، ولم يقدر له قط أنَّه دخل بلدة إلاّ وأكرمه متـوليها وبالغ فى إكرامه، مثل شـاه شجاع صاحب تبريز، والأشرف صـاحب اليمن، وابن عثمـان صاحب التركيـة، وأحمد بن أويس صاحب بغداد وغيرهم، ومتعه الله بسمعه وبصره إلى أنْ مات.

سمع الشـيخ مجد الدين من ابن الجـبار، وابن القيم، وابن الحـموى، وأحمـد بن عبد الرحـمن المرداوى، وأحمد بن مطر النابلـسى، والشيخ تقى الدين السبكـى، ويحيى بن على بن مجلى بن الحـداد، وغيـرهم بدمشق فى سنة نيف وخمسين، وبالقدس من العـلائى، والبيانى، وبمصر من القلانسى، ومظفر الـدين، وناصر الدين التونـسى، وابن نباتة، والفارقـى، والعرضى، والعز بن جماعة. وبمكة من خليل المالكى، والتقى الحرازى، ولقى بغيرها من البلاد جمـعا جما من الفـضلاء وحمل عنهم شيئًـا كثيرا، وخـرج له الجمال المراكشى مشيخة، واعتنى بالحديث.

اجتمعت به بزبيد، وفى وادى الخـصيب، وناولنى جل القاموس، وأذن لى مع المناولة أنْ أرويه عنه، وقرأت عليه من حديثه عدة أجزاء، وسمعت منه المسلسل بـالأوليـة لسـمـاعـه من السـبكى، وكـتب لى قـريظـا على بعض تخريجاتى، أبلغ فـيه، وأنشدنى لنفسه فى سنة ثمان مـئة بيتين، كتبـهما عنه

الصلاح الصفدى، فى سنة سبع وخمسين بـدمشق، وبين كتابتهما عنه ووفاته ستون سنة، رحمه الله:

أخـــلانا الأمـــاجـــد إنْ رحـلتم ولم ترعـــوا لنا عـــهـــدا وإلاّ

نـوِّدعْـكـم ونُـودعْـكـم قـلـوبـا لعـل الله يجـــــمـــــعـنا وإلاّ

مات رحمه الله تعالى فى ليلة العشرين من شوال وهو ممتع بحواسه وقد ناهز التسعين.

انتهى كلام ابن حجـر فى ترجمته سنة سبع عشرة وثمـان مئة من «إنباء الغمر بأنباء العمر».

***

ووجدت فى بعض المقيدات بخط بعض الفضلاء ممن يوثق بدينه وعلمه من أهل عصرنا ما نصه: سئل شيخ الإسـلام الشيخ مجد الدين الفيروزابادى رضى الله عنه صاحب كـتاب القامـوس فى اللغة بما نصـه: ما يقول سـيدنا ومولانا شـيخ الإسلام فى الكتب المنسـوبة إلى الشيخ محـى الدين بن عربى كالفتوحات والفصوص، هل تحل قـراءتها وإقراؤها ومطالعتها؟ وهل هى من الكتب المسـموعـة المقروءة أم لا؟ فـقال رضى الله عنه: الذى أقـول وأتحقـقه وأدين الله به: أنَّ الشـيخ محى الدين كـان شيخ الطريقـة حالا وعلمـا وإمام التحقيق حقيقة ورسما، ومحيى رسوم العارفين فعلا واسما:

إذا تغـلغـل فكـر المرء فـى طرف من بحـره غـرقت فـيـه خـواطره

فهـو بحر لا تدركـه الدلاء، وسحاب لا تتـقاصر عـنه الأنواء، كانت دعواته تخترق السـبع الطباق، وتفترق بركتها فتـملأ الآفاق، وإنى أصفه وهو يقينا فوق ما وصفته، وناطق بما كتبته، وغالب ظنى أنى ما أنصفته:

وما على إذا ما قلت معتقدى دع الجهول يعد العدل عدوانا

والله والله والله العظيم ومن أقامه حجة للدين برهانا

إنَّ الذى قلت بعض من مناقبه ما زدت إلاّ لعلى زدت نقصانا

وأما كتبه ومصنفاته فهى البحار الزواخر، ما وضع الواضعون مثلها. انتهى. وباقى الجواب سقط سهل الله كماله.

قلت: ولما جرى ذكر الشيخ بن عربى الحاتمى، فلا بأس من أنْ نلم ببعض حاله فنقول:

قال ابن خاتمة[1]:

محمّد بن على الطائى بن عربى الصوفى، من أهل إشبيلية، وأصله من سبتة، يكنى أبا بكر ويعرف بابن عربى، وبالحاتمى أيضًا.

أخذ عن مشيخة بلده، ومال إلى الأدب، وكتب لبعض الولاة بالأندلس، ثم رحل إلى المشرق حاجًا، فأدى الفريضة، ولم يعد بعدها إلى الأندلس، وسمع الحديث من أبى القاسم الحَرَستانى[2] وغيره وسمع صحيح مسلم من الشيخ أبى الحسن ابن أبى نصر فى شوال سنة ست وست مئة، وكان يحدث بالإجازة العامة عن أبى طاهر السِّلفى، ويقول بها، وبرع فى علم التصوف وله فى ذلك تواليف كثيرة منها: «ملاك التأويل وحقائق التنزيل» و«الجذوة المقتبسة والحظوة المختلسة» و«كتاب المعارف الإلهية» و«كتاب الإسرا إلى المقام الأسرى» و«كتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم» و«كتاب عنقاء مغرب فى صفة ختم الأولياء وشمس المغرب» وكتاب فى فضائل شيخه عبد العزيز بن أبى بكر القرشى المهدوى، والرسالة الملقبة «بمشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية» فى كتب أُخَرَ عديدة.

(١) نفح الطيب ج٢ ص ١٧٥.

(٢) تحرف فى المطبوع إلى: «الخرستانى» بالخاء المعجمة وصوابه من النفح.

وقدم على أَلْمَرِيَّةَ من مرسية مستهل شهر رمضان سنة خمس وتسعين وخمس مئة، وبها ألف كتابه الموسوم بمواقع النجوم.

قال الأستاذ أبو جعفر: ولا نسلم له جميع مقالاته وموضوعاته، وإنْ كان لعلوه فى الإعراب، قد تكلم من وراء حجاب، وتحصن من الرمز، بسند منيع الحرز، ففى الإشارة الراجحة الدليل، ما يقوم مقام العبارة الواضحة السبيل.

ولقد حكى لى بعض ثقات أصحابنا، عمن لقى من كبار شيوخ أهل العلم أنَّه كان يطعن عليه، ويرميه بوهن، وينسبه إليه، والله أعلم بحقيقة ذلك، إذ كل كلام يغلب المجاز والاستعارة عليه من غير قرينة فهو مُتَشَعِّب المسالك. وعلى الجملة فهو الذى جرأ على نفسه لمآخذه المظلمة المدارك المشوشة على السالك.

قال ابن الأبار: وقد لقيه جماعة من العلماء والمتعبدين، وأخذوا عنه، وتوفى بعد الأربعين وست مئة.

ذكر ابن الأبار وقال: أفادنى بعض أصحابنا أنَّه أجاز إجازة عامة لمن أحب الرواية عنه. انتهى كلام ابن خاتمة.

والذى عند كثير من الأخيار من أهل هذه الطريقة، التسليم لهم، ففيه السلامة وهو أحوط من إرسال العنان، وقول يعود على صاحبه بالملامة.

وما وقع لأبى حيان وابن حجر فى تفسيره، من إطلاق اللسان فى هذا الصِّدِّيق وأنظاره، فذلك من فلس الشيطان. والذى أعتقده ولا يصح غيره، أنَّ الإمام ابن عربى، ولى صالح، وعالم ناصح، وإنما فوق إليه سهام الملامة من لم يفهم كلامه.

على أنَّه دست فى كـتبـه مقـالات يجل قدره عنهـا، وقد تعـرض من المتأخـرين ولى الله الربانى، سيدى عبـد الوهاب الشعرانى، نفـعنا الله تعالى ببركته، لتفسير كلام الشيخ على وجه يليق، وذكر من البراهين على ولايته ما شرح صدور أهل التحقيق، فليطالع ذلك من أراده، والله ولى التوفيق.

***

التجديد والمجددون

قلت: وإذ قد تقـدم أمر التجـديد أواخر القرن الـثامن فيـما جلبناه فى التعريف المنقـول آنفا، ناسب أنْ نذكر نظم إمام الدنيا جـلال الدين السيوطى المسمى «بتحفة المهتدين بأسماء المجددين» ونصه:

الحـــمـــد لله الـعظـيم المـنهْ المانـح الفـــضل لأهـل السـنهْ
ثم الصـــلاة والـسـلام نـلتـمس عـلـى نـبـى ديـنـه لا يـنـدرس
لقـد أتى فـى خـبـر مـشـتـهـر رواه كل حـــافـظ مـعـتـبـر
بـأنه فـى رأس كـل مـــائـة يبـــعث ربـنا لهـــذى الأمـــة
منـا عليـــهـــا عـــالمًا يجـــدد دين الهـــدى لأنه مـــجـتـهـد

قلت: اختـلف الناس فى المراد بالمجدد، فـقيل من العلمـاء، وقيل من الأولياء، وقيل من الملوك، ولكل حجة مذكـورة فى محلها. وسمعت شيخنا الإمام بقية الناس سيدى أحمد بابا السودانى التنبكتى، أبقى الله جلاله، وأدام عزته، وحفـظ خلاله، يقول إن ذلك يكون فى كل قطر بحسـبه، وليس من شرطه أنْ يعم الدنيا أو غالبها، والله أعلم.

ولأجل ذلك قال أبقاه الله فى رجزه فى هذا المعنى حيث ذكر المجددين. قال فى العاشر ما نصه:

وعاشر القرون فيه قد أتى محمّد إمامنا وهو الفتى

يعنى به الشيخ العلامة سيدى محمّد بغيع رحمه الله. ولا خفاء أنَّ هذا منه أبقاه الله بناء على اعتبار كل قطر على حدة، إذ هذا الشيخ الذى جزم بتجديده إنما هو فى صقع تنبكت وجاغو. وأما بلاد المغرب وغيرها فلا، وهو مخالف لما عند السيوطى فى هذا النظم كما تراه قريبا. والله تعالى أعلم بالصواب.

ولنرجع إلى كلام الإمام الجلال السيوطى، رحمه الله تعالى، قال:

فكان عند المائة الأولى عمر خليفة العدل بإجماع وقرْ
والشافعى كان عند الثانيهْ لما له من العلوم السارية
وابن شريح ثالث الأئمهْ والأشعرى عده من أمهْ
والباقلانى رابع أو سهل أو الاسفراينى خلافا قد حكموا
والخامس الحبر وهو الغزالى عدة ما فيه من جدال
والسادس الفخر الإمام الرازى والرافعى مثله يوازى
والسابع الراقى إلى المراقى ابن دقيق العيد باتفاق
والثامن الحبر هو البلقينى أو حافظ الأنام زين الدين
وعد سبط الميلق الصوفيهْ لو وجدت مئته وفيهْ
والشرط فى ذلك أنْ تمضى المائهْ وهو على حياته بين الفئهْ

يشـــار بـالعلم إلى مـــقـــامـــه وينصـــر السنـة فى كـــلامـــه
وأنْ يكون جـــامـــعـــا لـكل فن وأنْ يعـم علـمـــــه أهل الـزمن
وأنْ يكون فى حـــديث قـــد روى من أهـل المصطفـى وهو قـــوى
وكـــونه فـــردا وهو المشـــهـــور قـد نطـق الحـديث والجـمـــهـور
وهذه التـــاســـعـــة المئـــين قـــد أتت ولا يخلف مـا الهـادى وعـد
وقـــد رجـــوت أنى المجـــدد فـيـها فـفـضل الله ليس يجـحـد
وآخـــر المئـــين فـــيـــهـــا ياتى عـــيـــســى نبـى الله ذو الآيات
يجـــدد الدين لـهـــذه الأمـــهْ وفى الصـــلاة بعـــضنا قـد أمـــهْ
مـــقـــررا لشـــرعنا ويحـكم بحكـمنا إذ فى الســـمـــاء يـعلم
وبعـــده لم يبـق من مـــجـــدد ويرفع الـقـــرآن مـــثل مـــا بدى
وتكثـــر الأشـــرار والإضـــاعـــهْ من رفـيـعـه إلى قـيـام الساعـهْ
وأحـــمـــد الله على مـــا علمـــا ومـا جـلا من الخـــفـاء والعـمى
مـــصليـــا على النبى الـرحـمـــهْ والآل مع أصـــحـــابـه المكرمـــهْ

***

انتهى وليكن هذا آخر هذه الترجمـة، والله ولى التوفيق، لا رب غيره، ولا معـبود سواه. وصلى الله على سـيدنا محـمّد وعلى آله وصحـبه وسلم تسليما.

obeikandi.com